OBSERVATOIRE EUROPEEN DU PLURILINGUISME

المرصـــــــــد الأوروبـــــــي للتـــــــــعددية اللـــــــغوية

الرسالة رقم 80

(سبتمبر – نوفمبر 2019)

الإدارة والتحرير: كرستيان ترامبلي، وآن بوي

ترجمت رسالة المرصد الأوربي للتعدية اللغوية تطوعا بالألمانية، والإنجليزية والبلغارية والكرواتية والإسبانية واليونانية والإيطالية والبولونية والبرتغالية والرومانية والروسية. يمكن الوصول إلى النصوص على الإنترنت. شكرا للمترجمين. لإضافة لغات أخرى، يرجى الاتصال بنا.

يمكن الحصول على الرسائل السابقة بالضغط هنا

تجدون في هذا العدد:
الافتتاحية : للفرنكوفونية مستقبل مشرق.
مقالات حديثة لا يجب تفويتها
إعلانات وإصدارات أخرى

-» التي نمت في نهاية القرن السابع عشر والتي أعادها ***ديدرو*** و ***كوندرسي*** قبل سنوات من الثورة الفرنسية هي أن تكون المدرسة مفتوحة لكل طبقات المجتمع. فهُم يسعون إلى دمقرطة نموذج تعليمي نخبوي أو أرستقراطي، وعدم نشر تعليم رديء. إن الهدف من التعددية اللغوية، من العصور القديمة إلى يومنا الحالي، هو الرغبة في اكتساب المعارف والذي يمر بدوره عبر المقدرة على استيعاب المؤلفات التي كتبت في لغات عدة. يتضح جليا أن الأهداف المتواضعة للتعليم الحديث بعيدة كل البعد عن الأهداف القديمة. فبالنسبة إلى التعليم الحديث، تعلم اللغات الأجنبية ليس هدفا من أهداف اكتساب المعرفة، فهو لا يعدوا كونه مجرد اكتساب أدوات تسمح لنا بالعيش في أماكن مختلفة بالحد الأدنى من المهارات اللغوية. وهذا هو ما يرمز إليه مفهوم "الإنجليزية لغة التفاهم الدولية" وهذا ....**-»**

الافتتاحية - ساعة التعددية اللغوية.

لم تكن الإمبراطورية الرومانية أحادية اللغة، بل كانت ثنائية اللغة، والسبب وراء ذلك هو أن القادة الرومان أدركوا قيمة الثقافة واللغة الإغريقية فتغذّوا منها. الكل يعرف رسالة ***غارغانتوا*** إلى ***بانتاغرول*** في الفصل الرابع من كتاب "**بانتاغرول**" للمؤلف رابيله، حيث أتى فيه أن **بانتاغرول**، قبل أن يذكر قائمة المعارف الأساسية التي يجب أن تكتسب في مجال العلوم والآداب والقانون والتاريخ والأديان، كتب ما يلي: "أود أن تتعلم اللغات بإتقان: أولا اليونانية، وبعدها اللاتينية ثم العبرية لقراءة الكتب الدينية، والكلدانية والعربية على حد سواء. كما أود أن يكون لك أسلوبك الخاص وأن تكون مثل أفلاطون من حيث إتقانك للغة اليونانية، وأن تكون مثل شيشرون من حيث إجادة اللغة اللاتينية".

بالتأكيد معرفاتنا بتوصيات ***ديدرو*** للإمبراطورة ***كاثرين الثانية*** أقل. حيث كان ***ديدرو*** ينتقد في مؤلّفه "الموسوعة" برامج الجامعة الفرنسية آنذاك، لأنها ظلت تحترم تقاليد القرون الوسطى والتقاليد "القوطية" ولأن الجامعة كانت ترتكز على اللاتينية واليونانية والبلاغة والمنطق الأرسطي[1]. يعتقد ***ديدرو*** أن ثمة ثلاثة مستويات للتعليم: "القراءة جيدا والكتابة جيدا إضافة إلى القليل من الحساب في المستوى الأول؛ وفي المستوى الثاني تتم دراسة العلوم والمنطق بشكل أعمق؛ والمستوى الثالث يؤدي بالمتعلم إلى درجة عالم". سنتعلم : "اللغة الروسية، واللغة اللاتينية واللغة اليونانية واللغات الإيطالية والإنجليزية والألمانية"(ص.662). هكذا كانت البيئة اللغوية لأوروبا في عصر التنوير.[2]

في مؤلفه الذي حمل عنوان "الخطة الجامعية"، يرى ***ديديرو*** أن "الجامعة مدرسة بابها مفتوح دون تمييز لكل أطفال الأمة حيث يقوم مدرسون مأجورون من الدولة بتلقينهم المبادئ الأساسية لكل العلوم"(ص. 749). ومن الجدير بالذكر أن ***ديدرو*** كان يكتب في عهد كان فيه التعليم خاص بفئات معينة وكان معظم المعلمين من رجال الدين.

هل تغيرت الأمور اليوم حيث يبدوا أن الإنجليزية تهيّمن في كل مكان؟ في الواقع ثمة بعض الأصول التي لم تتغير، ففيما يخص اللغات نلاحظ أن النخبة دائمة متعددة اللغات. في العصور العتيقة التي تناولناها الآن، كانت المثالية التربوية ستهدف أولا الطبقات العليا بيمنا كانت الفكرة الجديدة.....**-»**

[1] مقال منشور في Collège de l'Encyclopédie، (ص.752).

[2] ديديه بياتريس، عندمان كان ديدرو يضع خطة لجامعة، مقال في بحوث حول ديدرو والموسوعة، رقم 18-19، 1995. ص: 81-91/ : https://www.persee.fr/doc/rde_0769-0886_1995_num_18_1_1292 /https://doi.org/10.3406/rde.1995.1292 ص 88.

-» يعني، بعيدا عن التورية، لغة تشبه اللغة الإنجليزية ولكنها ليست إنجليزية في الواقع. الأمر الذي يشكل تقليلا من شأن تعليم اللغات، وخاصة تعليم اللغة الإنجليزية، حيث يتم حصر عملية تعليم وتعلم اللغة في أمور بسيطة. ومازال التقليل من شأن اللغة من خلال جعلها أداة للتواصل أمر متسمر حتى يومنا الحالي كما نشر هذه الفكرة الكثير من اللغويين منذ عقود. للأسف الشديد، إن هذا التصور يستند إلى فكرة باطلة.

اللغوي تشومسكي[3] الذي لم يكن من المتوقع أن يخوض هذا المجال، يحدد الأمور في كتابه ***أي نوع من المخلوقات نحن؟***[4] حيث قال إن "اللغات ليست أدوات صنعها الإنسان، بل هي أمور بيولوجية على غرار النظام البصري والنظام الهضمي" ويستمر قائلا بخصوص "مفهوم التواصل" الذي يرى أنه "خالٍ من المعنى الجوهري ويستخدم كمصطلح عام للدلالة على أشكال مختلفة من التفاعل الاجتماعي" ويضيف قائلا "يلعب دورا متواضعا في الاستخدام الفعلي للغة"، لكن المهم هو أن هذا الاعتقاد السائد الذي يقول بأن وظيفة اللغة هي التواصل "لا يستند إلى أي أساس، وتسمح لنا بعض البيانات المؤكدة بالاعتقاد أن هذه الفكرة مغلوطة كليًا. فالكلام يستخدم للتواصل كما هو الحال مع الملبس، وتعبيرات الوجه، ووضعية الجسد. لكن الخصائص الأساسية للهندسة اللغوية تؤكد تلك المعلومات المنبثقة من اعتقادات فلسفية غنية والتي تفيد أن اللغة مجرد وسيلة فكرية"[5]. إن تشومسكي يتفق في رأيه هذا مع كل من ***فيقو ولبنيز وهمبولد*** وغيرهم[6]. وذهب تشومسكي إلى أكثر من ذلك حيث يقول "لا يحق لنا أن نشك في فكرة ديكارت التي تفيد بأن للغة بعد خلقي". في الواقع، ديكارت لم يبتدع شيئا، ولا يقوم إلا بوضع، في متناول معاصريه، فكرة مثل كلمة "شعر" والتي تأتي من الكلمة اليونانية القديمة (*poesis*) والفعل (*poiein*) الذي يعني "فعل وأنشأ".

إن هذا التصور الأداتي البحت الذي يسود في الأوساط التعليمية وأوساط الثقافة العامة، حيث تغيب الحقيقة اللغوية بشكل مأساوي سيطفئ تحفز الأطفال والشباب والمدرسين على حد سواء.

نتذكر ذلك الحوار الكبير الذي دار في فرنسا بين سبتمبر 2003 ومارس 2004. نلاحظ أن هذا التقرير الذي بلغ 550 صفحة والذي نشر تحت عنوان "الفرنسيون ومدرستهم" لم يتناول موضوع اللغات الحية في المعارف الأساسية وأن ثلاثة اسطر فقط من الصفحة رقم 380 خصصت للغات الحية في فقرة ليست ذات أهمية.

فليس من المثير للاستغراب أن لا نلاحظ أي تقدم ملحوظ منذ 15 سنة في مجال تعلّم اللغات، لا في فرنسا ولا في معظم دول للاتحاد الأوروبي.

إذا تناولنا مقرر اللغات الحية لمستوى ثاني ثانوي، والمعد من قبل المجلس الأعلى للمقررات، نجد أن التمهيد عجيب، حيث ورد فيه:

"إن عولمة التبادلات، وتعزيز التنوع الثقافي واللغوي للمجتمعات وتطور التواصل الإلكتروني تجعل اليوم تعلم اللغات الحية أمرا أكثر من أساسي. للمشاركة التامة في هذا التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وللاندماج في عالمنا الحالي بثقة وبدون تخوّف، من الضروري أن يتمكن التلاميذ الفرنسيون من تعلم اللغات الحية بمستوى كاف وخاصة التعبير الشفوي".

فهمنا من خلال هذا الجزء من المقدمة أن اللغات، سواء كانت لغات الأم أو اللغات الأجنبية، لا تتدخل في التكوين الفكري ولا في اكتشاف وبناء ثقافة حقيقية.

لكن فيه تراجعٌ بسيط في الفقرة الثالثة: "ومن الأولويات أن يُعمّق التلميذ في المرحلة الثانوية، إضافة إلى تقويته لمهارته اللغوية، درايته للأبعاد الجغرافية والثقافية للغات التي يتعلمها وأن ينفتح على عوالم وفضاءات جديدة من خلال عرض خالٍ من النمطية والأحكام المسبقة."

لكن نلاحظ أنها أولوية وهمية ومعارف بلا حياة، لأنها محاولة للتأقلم مع عالم ليس لدنيا قدرة التأثير عليه. إذ لم لا يتعلق الأمر بحرية اللغة ولا سطلتها.

بكل وضوح، منح شهادة في اللغة يعادل نوعا ما رخصة القيادة، فهو في الوقت نفسه أساسي وتافه.

وفقدان اللغات لقيمتها أمر ملازم للانبهار باللغة الإنجليزية وهجر اللغات الأخرى. علما بأن التركيز الكلي على الإنجليزية

---

[3] نذكر تشومسكي نظرا لشهرته، لكنه ليس الوحيد في هذا المجال.

[4] أي نوع من المخلوقات نحن، نعوم تشومسكي، 2016، ص 27-29، النسخة الأصلية أتت تحت عنوان *What kind of creatures are we*، منشورات: Columbia university press.

[5] نتأسف على استخدام مصطلح "وسيلة فكرية" حيث يشكك تشومسكي في أن اللغة أداة وهذه الفكرة سائدة في يومنا الحالي في كل مكان، من الأوساط الجامعية إلى الرأي العام. بالتأكيد هذا مجرد خطأ في الصياغة. راودت ***لبنيز*** فكرة أن اللغة "بيئة"، الأمر الذي لم ينفه ***همبولد*** الذي يعتقد أن العالم "الخارجي والداخلي" مقدم لنا من قبل اللغة. وافقه تشومسكي الرأي حيث تناول ما قاله ***همبولد*** "من العجيب أن اللغة تتبع لمجال غير محدود والذي يشكل جوهر ما نفكر فيه" ص. 16-17.

[6] ص 24-29.

يساهم في الحد من الانفتاح على العالم أكثر مما يوسعه كما يقوي ذلك الاعتقاد السائد ألا وهو علو اللغة الإنجليزية.
فإذا كان منح شهادات يعادل منح رخصة القيادة، من الطبيعي أن لا تُحلّف الأسر إلا باللغة الإنجليزية.
إن جاذبية اللغة الإنجليزية ما هي إلا تطبيق لنظرية أنثروبولوجية قام بتعقيدها ***بيير فرحات***[7] عقب نظرية جاذبية اللغات **لجان كالفي**[8]. و ما زال قانون جاذبية اللغات سائدا اليوم في كل العالم، وفي كل السياقات اللغوية[9]. فالهدف هو ضمان مستقبل أفضل لأنفسنا ولأبنائنا والرقي الاجتماعي. هذا هو الدافع الحقيقي الكامن وراء تفضيل اللغة الإنجليزية، والسبب وراء اندثار الكثير من اللغات في العالم. ببكل بساطة، هذه الفكرة مبنية على الباطل.
في دول كان مستوى التعليم الإعدادي والثانوي فيها متواضعا في أواسط القرن الماضي، وكان تعلم اللغات خاص بالميسورين نسبيا، نفهم لماذا جذبت اللغة الإنجليزية الناس ولماذا تدنى الاهتمام باللغات الأخرى بوتيرة سريعة بعد دمقرطة التعليم، خاصة في فرنسا.
فمن المثير للاستغراب أن يستمر تفضيل اللغة الإنجليزية إلى يومنا الحالي. لأن العالم قد تغيّر.
أثناء الجلسات الأخيرة للتعددية اللغوية التي أقيمت ببوخارست (عاصمة رومانيا) في مايو 2019، استنتجنا بفضل مداخلات الكثير من المؤسسات أن الرأي العام متأخر جدا. فبالنسبة للمؤسسات لقد تم تجاوز هذا الموضوع. بالتأكيد من المهم أن نتقن الإنجليزية، خاصة وأنها تتيح لنا بالترقي. لكن الحاجة اللغوية لا تقف عند الإنجليزية، إذ تخلف هذه الحاجة باختلاف البلدان والزبائن والشركاء. علاوة على ذلك، فالموضوع ليس لغوية فحسب، فالمهارات ثقافية كذلك. لذا يجب أن نفهم القيَم والتصرفات والعلاقات التراتبية والمفاوضات الخ. والإنجليزية وحدها لا تكفي على الاطلاق لتحقيق ذلك. تعلم النخبة الحقيقية ذلك لكنها تتحاشى الحديث عن هذا الموضوع.
يجب أن نعرف أيضا أن للمهارة اللغوية أثر اقتصادي، على أداء الشركات وعلى الأفراد، علما بأن الاثنين مرطبتين. يشكل عدم إجادة اللغة الإنجليزية في بعض الأحيان عائقا يحول دون الحصول على وظيفة ويؤثر على الحياة المهنية، لكن التعددية اللغوية مؤهل إيجابي أقوى بكثير من إجادة الإنجليزية. فإجادة لغة ثانية أفضل من أحادية اللغة. فالإنجليزية ليست مؤهَلا، لكن جهلها يشكل عائقا في سوق العمل. ما يعضد التشبيه برخصة القيادة.
بينما يشبه تعلم اللغة الإنجليزية وحدها بمدرسة الفقراء، الكثير من أولياء الأمور يعتقدون أن تعلم الإنجليزية طوق نجاة لأبنائهم وأنها تضمن لهم صعودا اجتماعيا وأنها أداة لتجنب الإقصاء.
يجب أن نحارب الحكم المسبق السائد والذي يريد أن يكون كل شيء بالإنجليزية. لكن قال أشتاين إن تفكيك الأحكام المسبقة أصعب من تفكيك الذرة.
لذا يجب أن نتبنى أفكار سليمة وبسيطة وأن نلسبها أفضل لباس ممكن، كما يجب أن نبدل الأفكار التسويقية السطحية بأهداف أكثر نبلا، ربما هذا هو الشيء الوحيد الذي نستطيع القيام به.
لكن قبل كل شيء، يجب أن نفهم ونفّهم الآخرين: أن التعددية اللغوية أفضل من أن يكون كل شيء بالإنجليزية، لأن التعددية تعتمد على تصور شعري للغة، بمفهوم القدماء، أما اليوم فنقول تصور ابداعي، له أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية ◄ النهاية.

الإعلانات والإصدارات

يخوض المرصد الأوربي للتعددية اللغوية معركة طويلة الأمد لكنها معركة ضرورية تجمع بين قضايا متعددة. يجب أن نكون حاضرين في اتخاذ القرارات الكبيرة والصغيرة. تلكم هي المهمة التي وضعها المرصد لنفسه. يجب أن نضاعف الجهود معا. بإمكانكم أن تقدموا دعما إنسانيا بالمشاركة في مهمته، أو دعما مادية بالانضمام إليه أو بالتبرع بمبلغ.

حان وقت الانضمام إلى المرصد الأوروبي للتعددية اللغوية والمشاركة

[7] المواضيع الأنثروبولوجية في اختيار اللغات، http://www.res-per-nomen.org (سيصدر قريبا)
[8] كالفي، جان لويس، 1999، نحو علم بيئة لغوي، دار بلون، باريس.
[9] انظر اللغة العالمية، ترجمة وسيطرة، لبسكال كازانوفا، دار سيي، باريس.